

الفرقان
في تفسير القرآن
بالقرآن والسُّنة

الفرقان

في تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

الجزء الثاني والعشرون

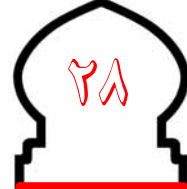
تتمة سورة القصص - سورة العنكبوت

سورة الروم - سورة لقمان - سورة السجدة

سماحة الشيخ

الدكتور محمد الصادقي

٥



تتمه



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْفَرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا
أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
تَتَلَوًا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا
أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا
سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ لَّكِنَّا ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ
اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا
لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى
مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَالَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ
قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا

عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَهَنَّمِِينَ ﴿٥٥﴾
 إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ الْأُولَى بَصَائِرَ
 لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٣) :

﴿وَلَقَدْ﴾ تأكيدان اثنان تؤكدان ضرورة إيتاء الكتاب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا
 الْقُرُونََ الْأُولَى﴾ وهي التي قبل قرنه منذ قرن نوح وعاد وشمود إلى قرن
 فرعون ومن بينهم من المهلكين ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ : التوراة ﴿بَصَائِرَ
 لِلنَّاسِ﴾ : تبصّرتهم تأريخ الهالكين وعاقبة الظالمين، تأتي البصائر توصيفة
 غالية في الذكر الحكيم خمساً، ثلاثاً تخصه نفسه : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ
 رَبِّكُمْ﴾ (١) - ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) - ﴿هَذَا
 بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٣) .

ورابعة للآيات الرسالية الموسوية : ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ (٤) وخامسة للتوراة كما هنا .

والقرآن هو مجمع البصائر في كلتا المرحلتين، هما مقسومتان على
 توراة موسى ومعجزاته وأين بصائر من بصائر؟ .

ثم ﴿بَصَائِرَ﴾ هي جمع «بصيرة» وقد تكون تاؤها للمبالغة كما ﴿الْإِنْسَانُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣ .

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٠ .

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢ .

عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١﴾ مبالغة اطلاقه على نفسه، وبصيرة التوراة وآيات موسى فضلاً عن بصيرة القرآن هي مبالغة في الإبصار، كأنها التي تبصر الناظرين إليها، أو تبصر نفسها لهم لشدة التماعها وإشراقها كما ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً ﴿٢﴾ بصيرة تجلب إلى الإبصار إليها لمحجتها البيضاء.

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ مصدراً هي نفس الهداية وخالصها دون شوب، ﴿وَرَحْمَةً﴾ وذلك المثلث البارع من الإضاءة والإلماع ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الحقّ فبه يؤمنون.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ :

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ بطبيعة الحال ولما كوَّنت ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ من الوادي ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الرساليّ بإنزال التوراة ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ صورة القضية إذ ذاك، ولكننا بينها لك وضح الشمس في رابعة النهار.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ

تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ :

﴿وَمَا كُنْتَ . . . وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ منهم ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أغفلاً وجهاً ثم أشهدناك قصصهم ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ لترى ما مضى على شعيب وموسى فيها ﴿وَمَا كُنْتَ . . . تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ لترى ردة الفعل منهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا﴾ على طول خط التكليف ﴿مُرْسِلِينَ﴾ دونما وقفة في إرسال الرسل، و﴿مُرْسِلِينَ﴾ إياك لـ ﴿تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا

أَنذَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ :

(١) سورة القيامة، الآية: ١٤ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٢ .

﴿بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة
 ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ أول ما نادينا «ما كنت» لا هنا ولا هناك لتسمع النداء والوحي
 فتعلم ما علّمه موسى ﴿وَلَكِنْ﴾ ناديناك وأنزلنا إليك الكتاب ﴿رَحْمَةً مِّنْ
 رَبِّكَ﴾ في قمتها العالية المنقطعة النظير بين كلّ بشير ونذير ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أْتَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الفترة الرسالية البعيدة المدى، ﴿لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ﴾ فأمرك - إذن - يا محمد ﷺ أصعب من أمر موسى، ولأن عبك
 أثقل ورسالتك أعلى وأشمل، فطريقك أطول وأعضل، فاصبر يا حامل
 الرسالة الأخيرة التي تحمل جوهرة خالدة من كلّ الرسالات.

وقد تلمح «ما كنت إذ قضينا وناديننا» أن جرى ذكر محمد ﷺ فيما
 نودي إلى موسى وقضي إليه، وكما نجده في بشارات توراتية باقية حتى الآن
 رغم تطاولات التحريفات والتجديفات! وهنا روايات تؤيد تلك اللامحة
 اللامعة بحق الرسول ﷺ وأمته (١).

(١) الدر المشور ٥ : ١٣٠ - أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : لما قرب الله
 موسى إلى طور سيناء نجياً قال : أي رب هل أحد أكرم عليك مني قربتني نجياً وكلمتني
 تكليماً؟ قال : نعم محمد ﷺ أكرم علي منك ، قال : فإن كان محمد أكرم علي منك فهل أمة
 محمد أكرم من بني إسرائيل فلقت لهم البحر وأنجيتهم من فرعون وعمله وأطعمتهم المن
 والسلوى؟ قال : نعم أمة محمد ﷺ أكرم علي من بني إسرائيل ، قال : إلهي أرنهم ، قال :
 إنك لن تراهم وإن شئت أسمعتك صوتهم ، قال : نعم ، فنادى ربنا أمة محمد أجيوا ربكم
 فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة فقالوا : لبيك ربنا حقاً ونحن
 عبيدك حقاً ، قال : صدقتم وأنا ربكم وأنتم عبيدي حقاً ونحن عبيدك حقاً ، قال : صدقتم وأنا
 ربكم وأنتم عبيدي حقاً قد غفرت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني فمن لقبني
 منكم بشهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة» أقول علّه تعالى أسمعهم صوتاً يشبه صوتهم إذ لا
 صوت لمن في الأصلاب والأرحام ذرا ولا عقل ولا تكليف! .

وفي نور الثقلين ٤ : ١٣٠ عن عيون أخبار الرضا ﷺ في باب ما جاء عن الرضا ﷺ من
 الأخبار المتفرقة حديث طويل وفيه أن رسول الله ﷺ قال : - وذكر ما في معناه بزيادة قبل
 فضل أمته هي «قال موسى يا رب فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل
 الأنبياء أكرم من ألي؟ قال الله جل جلاله : يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع =